

عناية الأئمة النقاد بعلم المتون

«دراسة تطبيقية من خلال شرح علل الترمذي لابن رجب»

The Care of the Critical Imams with the Reasons of the Text “An Applied Study through “Explanation of the Reasons of Al-Tirmidhi by Ibn Rajab “

أ / يوسف تريعه *

معهد العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

Youcef.tre@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/26 تاريخ القبول: 2021/11/04 تاريخ النشر: 2021/11/14



ملخص: تناولنا في هذا البحث الذي هو بعنوان: عناية الأئمة النقاد بعلم المتون "دراسة تطبيقية من خلال " شرح علل الترمذي لابن رجب " أحد أهم القضايا التي تُطرح دائما، والتي هي: مدى عناية أئمة الحديث بمتون الحديث ونقدها وتعليلها، وذلك من خلال: "شرح علل الترمذي" لابن رجب. ولا يمكن أن نُثبت اهتمام الأئمة بمتون الحديث إلا بدراسة تطبيقية على بعض المتون التي تعرض لها ابن رجب في كتابه. وقصدنا من خلال هذه الدراسة: تحديد ملامح مناهج الأئمة في التعامل مع علل المتون، وذلك من خلال قواعد تدل على رسوخ ووضوح منهجهم في التعامل مع علل المتون. ومن أجل أن نعرف هذه القواعد التي أُستعملت في تعليل المتون بشكل مستقل عن الأسانيد كانت دراستنا بالشكل الآتي: أولا: عناية الأئمة بمتون الحديث وعلاقة المتن بالعلل؛ ثانيا: أهم أنواع علل المتون من خلال كتاب "شرح علل الترمذي"، وهذه الأنواع المختارة هي: العلل المتعلقة بالإدراج والشذوذ والنعارة والاضطراب في المتن. من خلال هذه الدراسة يتضح لنا أنه قد يُحكم على الحديث من خلال تعليل متنه دون دراسة إسناده.

الكلمات المفتاحية: العلل؛ المتون؛ ابن رجب؛ الأئمة النقاد؛ الترمذي.

Abstract : In this research, which is entitled: The Care of the Critical Imams with the Reasons of the Text “An Applied Study through “Explanation of the Reasons of Al-Tirmidhi by Ibn Rajab”, is one of the most important issues that are always raised, which is: the extent to which the Imams of hadith care and interest in the texts of the hadith, their criticism and justification, through: Explanation of the ills of al-Tirmidhi by Ibn Rajab. In order to know these rules and evidence that they used in studying the texts and their explanation independently of the chains of transmission, our study was as follows: First: The imams’ attention to the text of hadith and the relationship of the text to the ills. Second: The most important types of ills of the texts through Ibn Rajab’s book explaining the ills of al-Tirmidhi, and these selected types were as follows: The issues related to the inclusion in the text. Issues related to anomalies and oddities in the text. Issues related to the disorder in the text.

Keywords: Reasons; the Text; Ibn Rajab; the Critical Imams; Al-Tirmidhi.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن من نعم الله العظيمة على هذه الأمة حفظ دينها بحفظ كتابه العزيز، وسنة نبيه الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 09] وهذا الوعد والضمان بحفظ الذكر يشمل حفظ القرآن، وحفظ السنة النبوية - التي هي المفسرة للقرآن وهي الحكمة المنزلة كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: 113]، وقد ظهر مصداق ذلك مع طول المدة، وامتداد الأيام، وتوالي الشهور، وتعاقب السنين، وانتشار أهل الإسلام، واتساع رقعته، فقيض الله للقرآن من يحفظه ويحافظ عليه.

وأما السنة فإن الله تعالى -بفضله وامتته وحكمته- وفق لها حفاظا عارفين، وجهاذة عالمين، وصيارفة ناقلين، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فتفرغوا لها، وأفنوا أعمارهم في تحصيلها، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأوفره.

وقد خلف لنا هؤلاء الأئمة الحفاظ ثروة علمية زاخرة، من تأمل في فنونها وعلومها المختلفة علم الجهد الشاق، والصبر الطويل، الذي بذله سلفنا وعلمائنا في جمعها، وبيانها والاستنباط منها، وتمييز ضعيفها من صحيحها، وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك، وعلم أيضا مقدار ما حظي به السلف من تأييد رباني وفضل إلهي وتوفيق سماوي لما صدقوا في الطلب والعلم والعمل والدعوة وصبروا على ذلك ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 04]

ومن هذه الثروة العلمية وجوانبها جانب العناية بعلل الحديث وبيانها، فإن لعلم علل الحديث دورا كبيرا ودقيقا في حفظ السنة النبوية، وهو يحكي التطور النقدي عند نقاد الحديث وحفاظه لما تنوعت وخفيت وغمضت أخطأ وأوهام الرواة، وسرت إلى روايات الثقات.

ومن أبرز معالم النقد التي اهتموا بها: قواعد نقد متون السنة عموما وتعلييلها على وجه الخصوص، من خلال قرائن وضوابط علمية دقيقة وواضحة المعالم، وقد وجدت في كتاب "شرح علل الترمذي" لابن رجب مادة علمية خصبة ومتنوعة وهامة تبين مدى اهتمام الأئمة -رحمهم الله- بعلل المتن، وذلك لما في هذا الكتاب من قواعد ثمينة في علم العلل، كما وجدت له أحكام موفقة في تتبع مناهج الأئمة في نقد متون الحديث.

1.1. إشكالية البحث:

كثيرا ما يطرح بعض الدراسين والكتاب والباحثين في مجال السنة مسألة اهتمام أئمة الحديث بالسند

دون النقد، والكثير يذهب إلى الاعتقاد السائد أن نقاد الحديث كان همهم السند فقط في الدراسة، هل هذا لإدعاء صحيح؟

إذا كان هذا الرأي غير صحيح وإن أئمة الحديث كانوا يهتمون بمتون، ما هي الأدلة العلمية التطبيقية التي تثبت عناية أئمة الحديث بمتون السنة؟
هذا ما نود الإجابة عليه من خلال بحثنا هذا بحول الله تعالى

1. 2. أهداف الدراسة:

- إبراز عناية المحدثين بنقد متون الأحاديث، وأن ذلك يعد منهجا متكاملًا في نقد المتن والحكم عليه بمعزل عن إسناده.

- البرهنة من خلال الدليل العملي التطبيقي أن الأئمة لا يهتمون بالأسانيد فقط كما يتوهم البعض.

- التعرف على الضوابط والقواعد التي استعملها الأئمة في تحليلهم لمتون الحديث.

1. 3. المنهجية المتبعة في البحث:

(1) وثقت المعلومات الموجودة في البحث من المصادر الأصلية لكل معلومة ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

(2) التزمْتُ بكتابة الآيات القرآنية بالخط العثماني، وترقيمها بترقيم المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم، وعزوها إلى مواضعها من المصحف الشريف، بذكر السورة، ورقم الآية بين معقوفين هندسيين [].

(3) تخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادر السُّنَّةِ الأصلية وفق المنهج العلمي في التخريج، والحكم عليها.

(4) لم أترجم أي علم من الأعلام الذين ذكروا في البحث، مخافة طول البحث، ولكثرتهم واشتغال الكثير منهم؛ لأن قصدي من هذا البحث العلمي معرفة المنهج وتحليله وليس ترجمة الأعلام.

(5) طريقة التهميش اتبعت فيها ما جاء في شروط المجلة، قائمة المراجع طريقة (APA)

1. 4. خطة البحث:

مقدمة

المبحث الأول: عناية الأئمة بمتون الحديث وعلاقة المتن بالعلل

تمهيد:

المطلب الأول: عناية أئمة الحديث بمتون الحديث عموما

المطلب الثاني: علاقة العلل بمتون الحديث

المبحث الثاني: أهم أنواع علل المتون من خلال كتاب ابن رجب "شرح علل الترمذي"

المطلب الأول: العلل المتعلقة بالإدراج في المتن
المطلب الثاني: العلل المتعلقة بالشذوذ والنعارة في المتن
المطلب الثالث: العلل المتعلقة بالاضطراب في المتن
خاتمة.

2. المبحث الأول: عناية الأئمة بمتون الحديث وعلاقة المتن بالعلل

1.2. تمهيد:

لقد كان لعلماء الحديث ونقاده عناية خاصة بمتن الحديث وكل ماله علاقة بعلم المتن، ودليل ذلك كثرة اهتمامهم بغريب المتون والشاذ فيها، وشرح المتون والاهتمام بغريب الحديث والمضطرب منه والزيادات وما روى منه بالمعني وما نُقل منه بنصه من دون تصرف في الألفاظ، والمدرج فيه وغيرها من علوم المتن الكثيرة التي اهتم بها العلماء، هذا كله يفند الزعم القائم على أن علماء الحديث اهتموا بالسند دون المتن في دراستهم للحديث النبوي الشريف، وكل ما ذكرته من علوم للمتن مبثوث في أمهات كتب الأئمة.

2.2. المطلب الأول: عناية أئمة الحديث بمتون الحديث عموماً

أولاً: المتن كما عرفه ابن حجر فقال: "والمتن: هو غاية ما ينتهي إليه الإسناد من الكلام" (حجر، 1422هـ، صفحة 130)

المقصود من نقد المتون معرفة ما تقبل نسبته إلى رسول الله، وما لا يقبل.

وقد تعرض المحدثون لدراسة المتن من جوانب يمكن تقسيمها إلى ثلاث أقسام هي:

- 1- علوم المتن من حيث قائله، وهي أربع: الحديث القدسي، المرفوع، الموقوف، المقطوع.
- 2- علوم شارحة للمتن، نبحت منها: غريب الحديث، أسباب ورود الحديث، ناسخ الحديث ومنسوخه، مختلف الحديث، محكم الحديث.
- 3- علوم تنشأ من مقابلة المتن المروي بالروايات والأحاديث.

ثانياً: إن الواقع العملي للمحدثين النقاد يشهد أنهم جمعوا بين الحديث وفقهه، ولهذا قاموا بنقد المرويات أسانيداً ومتوناً، وإذا أردت التأكد من هذا فعليك مراجعة كتاب التمييز للإمام مسلم، وسائر كتب العلل ومصادر تراجم الضعفاء. وهذا الإمام الحاكم يشرح لنا هذه الحقيقة؛ حين يقول:

"فأما فقهاء الإسلام أصحاب القياس والرأي والاستنباط والجدل والنظر فمعروفون في كل عصر وأهل كل بلد، ونحن ذاكرون - بمشيئة الله - في هذا الموضوع فقه الحديث عن أهله ليستدل بذلك على أن أهل هذه الصنعة من تبحر فيها لا يجهل فقه الحديث؛ إذ هو نوع من أنواع هذا العلم، فممن أشرنا إليه من أهل الحديث: محمد بن مسلم الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وسفيان

ابن عينة، وعبد الله بن مبارك، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن يحيى التميمي، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وإسحاق بن راهويه الحنظلي، ومحمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، ومسلم ابن الحجاج، وعثمان بن سعيد الدارمي، وأبو عبد الله محمد بن نصر المروزي، وأبو عبد الرحمن النسائي، وابن خزيمة (الحاكم ١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، صفحة ٦٣)

ذكر الحاكم مع كل واحد منهم شيئاً من فقههم، وهناك كثير من النقاد الذين جمعوا الحديث والفقه كالإمام مالك والشافعي وأبي داود والترمذي وسفيان الثوري ومنصور بن المعتمر والإمام الدارقطني والبيهقي وغيرهم، وهم كثر، يحتاج ذكرهم إلى تأليف مستقل.

فيه من المحدثين من لم يتفقه وكان جل همهم حفظ الأحاديث وروايتها لكن أن نعمم هذا الحكم على كل نقاد الحديث جميعاً فهذا لا يصح، لأنه يؤدي إلى إنكار جهودهم المتكاملة وتميزهم بالنظر الثاقب إلى الإسناد والمتن جميعاً، ولم تكن دراستهم محصورة في الأسانيد أبداً، كما روح المستشرقون لإثارة الشكوك في نفوس المسلمين حول مكانة السنة النبوية التي هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، والله المستعان.

3.2. المطلب الثاني : علاقة العلل بمتون الحديث

العلل التي تقع في المتون كثيرة ومتنوعة كما سنعرف، وهذه العلل منها ما هو خفي وما هو ظاهر، ومنها ما هو قاذح ومنها الغير قاذح.

ومثال القاذح: تغيير المعنى في المتن، وهذا النوع قليل جداً في الأحاديث المعللة بحمد الله، مما يدل على اهتمامهم بألفاظ الحديث أكثر من الأسانيد، ومن أشهر الأمثلة في ذلك قول ابن أبي حاتم في عله: «سألت أبي عن حديث رواه علي بن عياش عن شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: كان آخر الأمر من رسول الله ﷺ ترك الموضوع مما مست النار. فسمعت أبي يقول: هذا حديث مضطرب المتن، إنما هو إن النبي ﷺ أكل كتفا ولم يتوضأ، كذا رواه الثقات عن ابن المنكدر عن جابر، ويحتمل أن يكون شعيب حدث به من حفظه فوهم فيه» (الدارقطني، ١٤٢٧هـ، صفحة ٦٤/١، ٦٦)

وسبب ذكري لهذا المثال بالذات هو: توضيح مدى اهتمام وعناية الائمة رحمهم الله بالمتون.

ويمكننا أن نرجع علل المتون إلى الأنواع التالية:

- ١- ما كانت علة إحالة المعنى كلياً أو جزئياً.
- ٢- ما كانت علة تحريفاً في لفظ من ألفاظه.
- ٣- ما كانت علة مخالفة الراوي الذي رواه لمقتضاه.
- ٤- ما كانت علة إدراج كلام آخر فيه ليس منه.

5- ما كانت علته أنه لا يشبه كلام النبوة.

ولقد تكلم ابن رجب -رحمه الله- عن هذه الأنواع على بشكل مفصل ودقيق في كتابه "شرح علل الترمذي" مع التمثيل لهذه الأنواع كلها، لمن أراد أن يرجع إليها ويستفيد منها.

ومن طرائق معرفة العلة عند أئمة الحديث نقد المتن وإعلالها، وذلك بأمر أهمها:

- أنهم يعرفون الكلام الذي يشبه كلام النبي ﷺ من الكلام الذي لا يشبه كلامه، قال ابن أبي حاتم عن أبيه: "نعلم صحة الحديث بعدالة ناقله وأن يكون كلاماً يصلح أن يكون مثله كلام النبوة، ونعرف سقمه وإنكاره بتفرد من لم تصح عدالته بروايته" (حاتم، 1271هـ/1952م، صفحة 351/1).

ولذلك تجدهم كثيراً ما يضعفون الحديث الذي في متنه نكارة وغرابة ولو كان إسناده ظاهره الصحة.

- قد يكون متن الحديث سمج المعنى أو مخالفاً للقرآن فيعلونه بذلك

- قد يكون سبب تعليلهم مخالفة القرآن، وكثيراً ما ردوا الحديث لهذا السبب

- ومن طرق الإعلال عند المتقدمين إعلال الحديث إذا دلّ على معنى يخالف المعنى الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة:

وللمتقدمين طرائق كثيرة في إعلال متون الحديث ذكرت أهمها لا كلها لأنه يطول استيعابها، إنما أشرت لأبرزها، أما الأمثلة لم اذكرها لأن محلها المبحث الثاني التطبيقي.

ونقد المتن وإعلالها عند أئمة الحديث بابه واسع وأمثله كثيرة.

وهذا الأمر عكس المتأخرين، فمنهم من يصحح الأحاديث أو يحسنها مغفلاً هذا الجانب في التعليل والاعتماد على علل الأسانيد فقط أو العلل الظاهرة بقرائن نظرية بحتة.

3. المبحث الثاني: أهم أنواع علل المتن من خلال كتاب ابن رجب "شرح علل الترمذي"

1.3. المطلب الأول: العلل المتعلقة بالإدراج في المتن:

أولاً- تعريف الإدراج:

- لغة: اسم مفعول من "أدرجت الشيء في الشيء"، إذا أدخلته فيه وضممته إياه، وكذا لُف الشيء في الشيء. (الأزهري، 2001م، صفحة 475/3)

- اصطلاحاً: عرفه الإمام النووي رحمه الله بقوله: (هو أقسام:

أحدها: مدرج في حديث النبي ﷺ؛ بأن يذكر الراوي عقيه كلاماً لنفسه أو لغيره، فيرويه من بعده متصلاً، فيتوهم أنه من الحديث.

الثاني: أن يكون عنده متنان بإسنادين؛ فيرويها بأحدهما.

الثالث: أن يسمع حديثاً من جماعة مختلفين في إسناده أو متنه؛ فيرويه عنهم باتفاق، وكلّه حرام،

وصنف فيه الخطيب كتاباً شفى وكفى. والله أعلم). (النووي، 1405هـ/1985م، صفحة 46)

من خلال تعريف النووي وغيره من أئمة المصطلح يتبين أن الإدراج يكون في السند ويكون في المتن، وسيتناول البحث الإدراج محصوراً في المتن.

ثانياً- علاقة العلة بالإدراج في المتن:

اهتمَّ أئمة الحديث رحمهم الله تعالى بتصفية حديث رسول الله ﷺ من حديث غيره من الصحابة الكرام والرواة رحمهم الله، وذلك من خلال إخراج أي إدراج في متون السنة ولو كان ذلك قليلاً، لكنهم اهتموا به، وهذا دليل علمي عملي تطبيقي على مدى اهتمام أئمة الحديث بالمتون وليس بالأسانيد فقط.

ممن ذكر هذا النوع في التعليل الذي يدخل على المتون - وعادة ما يكون غير ظاهر - هم: ابن المدني، وابن أبي حاتم، والدارقطني في علمهم، وسأنقل مثلاً واحداً عن تناول هؤلاء الأئمة لهذا النوع من التعليل:

قال الإمام البرقاني رحمه الله: (وسئل - الدارقطني رحمه الله -: عن حديث حُصَيْنِ الْمُزْنِيِّ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمُنْبَرِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ إِلَّا الْخَدْتُ - لَا أَشْخِيكُمْ مِمَّا لَا يَسْتَحْيِي مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: - وَالْخَدْتُ أَنْ يَفْسُو أَوْ يَضْرِبَ».) (أحمد، 1421هـ/2001م، صفحة 364/2)

فقال - الدارقطني -: هو حديث يرويه أبو سنان ضرار بن مرة، واختلف عنه؛ فرواه حبان ومندل ابنا علي، عن أبي سنان، عن حصين المزني، عن علي عليه السلام.

وخالفهما أبو بكر بن عياش؛ فرواه: عن أبي سنان، عن الحكم بن عتيبة، عن شريح بن هانئ، عن علي عليه السلام، وفي متن الحديث زيادة: (إذا توضأ الرجل فهو في صلاة ما لم يحدث)، ويشبه أن يكون الصحيح قول مندل وحبان، والله أعلم، وقال أبو مسعود: أحمد بن الفرات في هذا الحديث، عن شيخ له، عن أبي بكر بن عياش، عن أبي سنان، عن الحكم، عن القاسم بن مخيمرة، عن شريح، عن علي عليه السلام، ولم يتابع عليه). (الدارقطني، 1427هـ، الصفحات 189/3-190)

والعلة التي أشار إليها الدارقطني رحمه الله هي: أن أبو بكر بن عياش وهم، فزاد في المتن لفظة: (إذا توضأ الرجل فهو في صلاة ما لم يحدث)، وهي زيادة ليست من أصل الحديث ولا الرواية.

ثالثاً- التعليل بالإدراج عند ابن رجب رحمه الله

اهتم ابن رجب رحمه الله بهذا النوع من العلل رغم قلته ودقته، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

قال ابن رجب رحمه الله: (قال البرقاني: سألت الدارقطني - وأبو الحسين بن المظفر حاضر - عن جعفر بن برقان، قال: فقالا جميعاً: قال أحمد بن حنبل: يؤخذ من حديثه ما كان عن غير الزهري، فأما عنه فلا.

قلت: لقد لقيه، فما بلاؤه؟ قال: ربما حدّث الثقة عن ابن برقان عن الزهري، ويحدثه الآخر عن ابن برقان، عن رجل، عن الزهري، أو يقول: بلغني عن الزهري. قال: فأما حديثه عن ميمون بن مهران، ويزيد ابن الأصم فثابت صحيح... وأما الكلام فيروى من غير حديث الزهري بأسانيد صالحة، ما خلا «الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر» فالرواية فيها لين.

وقال مسلم في كتاب التمييز: جعفر بن برقان، أعلم الناس بميمون بن مهران، ويزيد بن الأصم، فأما روايته عن غيرهما، كالزهري، وعمر بن دينار، وسائر الرجال فهو فيها ضعيف الركن، رديء الضبط في الرواية عنهم. (رجب، شرح علل الترمذي، 1407هـ/1987م، الصفحات 791/2-793)

أعلّ ابن رجب رحمه الله الحديث بسبب الإدراج الذي أدرجه جعفر بن برقان في الحديث ببعض الزيادات التي ليست في الحديث من طرق أخرى.

2.3. المطلب الثاني: العلل المتعلقة بالشذوذ والنعارة في المتن:

أولاً- تعريف الشذوذ:

- لغة: شَذَّ عَنْهُ يَشُدُّ وَيَشُدُّ شُدُودًا: انْفَرَدَ عَنِ الْجُمْهُورِ وَنَدَرَ، فَهُوَ شَاذٌ، وَأَشَدُّ غَيْرُهُ، وَسَمِيَ أَهْلُ النَّحْوِ مَا فَارَقَ مَا عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ بِأَبِهِ وَانْفَرَدَ عَنْ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ شَاذًا. (منظور، 1414هـ، صفحة 494/3)، (والشاذ: المنفرد، أو الخارج عن الجماعة، وما خالف القاعدة أو القياس، ومن الناس: خلاف السوي، وفي علم النفس ما ينحرف عن القاعدة أو النمط، وتستعمل صفة للنمط أو السلوك). (مصطفى، د.ت، صفحة 476/1)

- اصطلاحاً: قال الشيخ طاهر الجزائري: (اختلفوا في حدّ الحديث الشاذ؛ فقال جماعة من علماء الحجاز: هو ما روى الثقة مخالفاً لما رواه الناس، وعبارة الشافعي في ذلك: "ليس الشاذ من الحديث أن يروي الثقة ما لا يروي غيره؛ إنما الشاذ أن يروي الثقة حديثاً يخالف ما روى الناس". (الحاكم ا.، 1397هـ/1977م، صفحة 119)

وقال أبو يعلى الخليلي: "الذي عليه حفاظ الحديث أن الشاذ ما ليس له إلا إسناد واحد؛ يشذ شيخ ثقة كان أو غير ثقة، فما كان من غير ثقة فمتروك لا يقبل، وما كان عن ثقة يتوقف فيه ولا يحتج به" (يعلى، 1409هـ، صفحة 176/1). فلم يشترط في الشاذ تفرد الثقة بل مطلق التفرد.

وقال الحاكم: "الشاذ هو الحديث الذي يتفرد به ثقة من الثقات وليس له أصل بمتابع لذلك الثقة" (الحاكم ا.، 1397هـ/1977م، صفحة 119)، فلم يشترط فيه مخالفة الناس، وذكر أنه يغير المعلل من حيث إن المعلل وقف على علته الدالة على جهة الوهم فيه من إدخال حديث في حديث، أو وهم راو فيه، أو وصل مرسل، ومحو ذلك، والشاذ لم يوقف فيه على علة لذلك.

قال بعض العلماء: وهذا مشعر بأنه أدق من المعلل، فلا يتمكن من الحكم به إلا من مارس الفن وكان

- في الذروة العليا من الفهم الثاقب والحفظ الواسع). (الطاهر بن صالح، 1416هـ/2005م، صفحة 512/1)
- يتبين من خلال هذا الكلام أن علماء مصطلح الحديث اختلفوا في تعريف الحديث الشاذ على أقوال:
- فمنهم من قال: إن الشاذ هو ما خالف فيه الثقة الثقات، أو من هو أوثق منه، وهذا الكلام منقول عن الشافعي رحمه الله وغيره.
 - ومنهم من قال: إن الشاذ هو: مطلق التفرد في الإسناد؛ سواء أكان راوي هذا الإسناد ثقة أو غير ثقة، وهو قول الخليلي.
 - ومنهم من قال: إن الشاذ هو: الإسناد الذي ينفرد به الثقة؛ سواء خالف الثقات أو لم يخالف.
 - والتعريف المعتمد عند أهل المصطلح: أن الشاذ هو ما خالف فيه الثقة الثقات، أو من هو أوثق منه. وهذا الكلام منقول عن الشافعي وغيره.

ثانياً- علاقة الشذوذ بالعلل:

إن إعلال الحديث بالشذوذ يعتبر من أصعب الأمور في موضوعات العلل؛ لأن الكشف على التعليق بالشذوذ - إثباتاً أو نفيًا - أمر لا يقوى عليه إلا صاحب الاطلاع الواسع جداً على متون الأحاديث وأسانيدها؛ حتى يمكنه معرفة اتفاق أسانيد هذا الحديث في جميع الطرق التي ورد بها الحديث أو عدم اتفاقها، وقد ذكر علماء المصطلح أن العلة تطرق إلى الإسناد الذي رجاله ثقات، الجامع لشروط الصحة من حيث الظاهر، ومن هنا تأتي الصعوبة.

مع ذلك، فإن كبار أئمة الحديث كان لهم اهتمام بهذا النوع من التعليق في كتبهم، ومن الأدلة على ذلك ما يأتي:

في بعض الأحيان يتكلمون الشاذ بالنسبة إلى جهة معينة - كنسبة إلى راوٍ كالزهري مثلاً -، أو بلد معين - كمكة، والبصرة، والكوفة -، أو بكونه لم يروه من أهل البصرة، أو الكوفة - مثلاً - إلا فلان، أو لم يروه عن فلان إلا فلان، ونحو ذلك.

فمثال تقييد الانفراد بكونه لم يروه عن فلان إلا فلان:

حديث رواه أصحاب السنن الأربعة من طريق سفيان بن عيينة، عن وائل بن داود، عن ابنه بكر بن وائل، عن الزهري، عن أنس، عن النبي ﷺ أنه: «أَوَّلَمَ عَلَى صَفِيَّةَ بِسَوِيْقٍ، وَتَمَرٍ». (داود، د.ت، صفحة 341/3)

قال الدارقطني في "العلل": (يرويه ابن عيينة، واختلف عنه:

فرواه إبراهيم بن المنذر، وأبو الخطاب: زياد بن يحيى، وعلي بن عمرو الأنصاري، وعبد الله بن محمد الزهري، عن ابن عيينة، عن الزهري، عن أنس.

قال الزهري من بينهم: عن ابن عيينة: سمعته من الزهري، ولم أحفظه، فسمعت من آخر.
ورواه سهل بن صقير، عن ابن عيينة، عن وائل، عن داود، عن الزهري، عن أنس.
وقال إبراهيم بن بشار، وابن أبي عمر: عن ابن عيينة، عن وائل، عن ابنه بكر، عن الزهري، عن أنس.
وقال أبو العلاء الثوري: محمد بن الصلت: عن ابن عيينة، عن زياد بن سعد، عن الزهري، عن أنس، ولم يتابع عليه.

والمحفوظ: عن ابن عيينة، عن وائل، عن ابنه. (الدارقطني، 1427هـ، صفحة 12/172)

علة هذا الحديث - كما وضع الدارقطني: وائل بن داود، شذ عن الجماعة التي روتها عن ابن عيينة.
- مثال تقييد الانفراد بالثقة:

حديث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي رضي الله عنه: ما كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى والفطر؟ فقال: «كان يقرأ فيهما بـ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: 1]، و﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1]». (مسلم، د.ت، صفحة 2/607)

رواه مسلم وأصحاب السنن من رواية ضمرة بن سعيد المازني، عن عبيد الله بن عبد الله، عن أبي واقد الليثي، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الحديث لم يروه أحد من الثقات إلا ضمرة.
علة الحديث شذوذ ضمرة عن بقية الرواة بهذا اللفظ.

- مثال ما انفرد به أهل بلدة:

ما رواه أبو داود، عن أبي الوليد الطيالسي، عن همام، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقرأ بفاتحة الكتاب، وما تيسر» (سبق تخريجه). قال الحاكم: (تفرد بذكر الأمر فيه أهل البصرة من أول الإسناد إلى آخره، ولم يشركهم في هذا اللفظ سواهم). (الحاكم 1، 1397هـ/1977م، صفحة 156)

علة هذا الحديث - كما وضع الحاكم وغيره - شذوذ أهل بلد معينين، وهم أهل البصرة.
تنبيه مهم: عند الأئمة المتقدمين قد يطلقون على الشاذ ألفاظاً أخرى، مثل: الغريب، أو الفرد، أو المنكر.

التعليل بالشذوذ عند ابن رجب رحمه الله: قال ابن رجب رحمه الله: (في حديث أسماء بنت عميس ك: «تسلي ثلاثاً، ثم اصنعي ما بدا لك» (رجب، 1407هـ/1987م، صفحة 2/624)، إنه من الشاذ المطروح؛ مع أنه قد قال به شذوذ من العلماء: إن المتوفى عنها زوجها لا إحداث عليها بالكليّة، كما سبق ذكره في موضعه). (رجب، 1407هـ/1987م، صفحة 2/624)

علة هذا الحديث - كما بين ابن رجب رحمه الله - الشذوذ في لفظه، وأنه مخالف للأحاديث الصحيحة

في الإحدا.

3.3. المطلب الثالث: العلل المتعلقة بالاضطراب في المتن:

لعل من أصعب المهمات في علوم الحديث التعليل بالاضطراب في متون الحديث، وذلك لكثرة الوجوه المختلف فيها، من هنا يأتي صعوبة ترجيح وجه على غيره.

- مثال بالتعليل بالاضطراب:

1- قال الترمذي: (حدثنا محمد بن إسماعيل الواسطي، قال: سمعت ابن نمير، عن أشعث بن سوار، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه، قال: «كنا إذا حججنا مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكنا نلبي عن النساء ونرمي عن الصبيان»). (الترمذي، 1395هـ/1975م، صفحة 257/3).

وهذا إسناد ضعيف، فيه "أشعث بن سوار" ضعيف، وأعلل باضطراب متنه، فرواه ابن أبي شيبة، عن ابن نمير، عن أشعث، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه، قال: «حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان، فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم». (شيبه، 1409هـ، صفحة 436/3)، فهنا جعل "التلبية والرمي عن الصبيان"، وفيما سبق "التلبية عن النساء، والرمي عن الصبيان".

والحديث أعله ابن القطان (الفاسي، 1418هـ/1997م، صفحة 469/3) باضطراب متنه.

2- قال أبو داود في سننه: (حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، حدثه عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، أنه كان يحدث «أنهم تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر، فضربوا بأكفهم الصعيد، ثم مسحوا وجوههم مسحة واحدة، ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى، فمسحوا بأيديهم كلها إلى المناكب والآباط من بطون أيديهم»). (داود، د.ت، صفحة 86/1)

ورواه "صالح بن كيسان، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس م، عن عمار بن ياسر م، وفيه: «فقام المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضربوا بأيديهم إلى الأرض، ثم رفعوا بأيديهم ولم يقضوا من التراب شيئاً، فمسحوا بها وجوههم وأيديهم إلى المناكب...». (أحمد، 1421هـ/2001م، الصفحات 258-259)

فهنا جعلها ضربة واحدة، وفيما سبق ضربتين، من هنا وقع الاضطراب في متنه.

التعليل بالاضطراب في المتن عند ابن رجب رحمه الله:

قال ابن رجب رحمه الله: (ومنهم عكرمة بن عمار اليمامي، وهو ثقة، لكن حديثه عن يحيى بن أبي كثير - خاصة - مضطرب، لم يكن عنده في كتاب، قاله يحيى القطان وأحمد والبخاري وغيرهم، وحديثه عن إياس بن سلمة الأكوع متقن، قاله أحمد، وقال في رواية حرب: "هو في غير يحيى ثبت".

وقد أنكر عليه حديثه عن يحيى، عن أبي سلمة، عن عائشة، في استفتاح النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصلاة بالليل، وقد خرجه مسلم في صحيحه بلفظ: قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل...». (مسلم، د.ت، الصفحات 1-534)، وخرجه الترمذي (الترمذي، 1395هـ/1975م، صفحة 484/5)، وذكرنا هناك كلام الأئمة بألفاظهم في رواية عكرمة عن يحيى. وأنكر عليه - أيضاً - حديثه بهذا الإسناد: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور» (خزيمه، د.ت، صفحة 8/1) وقال أحمد في رواية ابنه عبد الله: "هو مضطرب عن غير إياس بن سلمة، وكأن حديثه عن إياس بن سلمة صالح" (حنبل، 1422هـ/2001م، الصفحات 1-379). (رجب، 1407هـ/1987م، صفحة 345/1).

علل ابن رجب رحمه الله وضعف رواية "عكرمة بن عمار اليمامي" بسبب اضطرابه في رواية المتن كما هو واضح من كلامه.

4. خاتمة

بعد إتمام هذا البحث توصلت من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- 1- اهتمام المحدثين بنقد المتن، وهذا الاهتمام قديم، بل إن نقد المتن وجد قبل نقد السند، وهذا خلافا لما زعمه المستشرقون ومن تبعهم من بعض الباحثين العرب.
 - 2- السند والمتن ركنان أساسيان في عملية النقد، ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر، وأي نقد لا يتسند إلى هذه الحقيقة لا يعد نقدا علميا مقبولا.
 - 3- نقد المحدثين نقد علمي متكامل بجميع عناصره
 - 4- قد يكون المتن سنده معلول لكن يُعمل به، وقد يكون سند المتن صحيح ولا يُعمل بمتنه، وهذا من دقائق علم الحديث وعلله
- التوصيات:

- 1- لما تقدم يبدو لي من المهم جداً تشجيع الدراسات التي تربط بين الفقه الحديث، وخصوصاً تلك التي تربط بينه وبين علوم الحديث المختلفة وخاصة علم العلل.
 - 2- ومن القضايا التي يحتاج إلى بحث، قد يُعل المتن بكونه مما يستحيل وقوعه زمنياً.
 - 3- من المسائل الدقيقة الجديرة بالبحث، بطلان المتن كونه قد وقع مثله ولم يأخذ حكمه.
 - 4- من البحوث التي تستحق التركيز عليها وتحريها مسألة بطلان المتن بكونه مما يستحيل وقوعه عقلاً.
- والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

5. قائمة المراجع

- إبراهيم وآخرون مصطفى. (د.ت). المعجم الوسيط. د.ب: دار الدعوة.
- ابن أبي حاتم. (1271هـ/1952م). الجرح والتعديل (المجلد الطبعة الأولى). بحيدر آباد الدكن، الهند- بيروت: مجلس دائرة المعارف العثمانية - دار إحياء التراث العربي.
- ابن أبي شيبه. (1409هـ). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (المجلد الطبع الأولى). (تحقيق: كمال يوسف الحوت، المحرر) الرياض: مكتبة الرشد.
- ابن القطان الفاسي. (1418هـ/1997م). بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (المجلد الطبعة الأولى). (تحقيق: الحسين آيت سعيد، المحرر) الرياض: دار طيبة.
- ابن خزيمة. (د.ت). صحيح ابن خزيمة. (تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المحرر) بيروت: المكتب الإسلامي.
- ابن رجب. (1407هـ/1987م). شرح علل الترمذي (المجلد الطبعة الأولى). (تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، المحرر) الزرقاء- الأردن: مكتبة المنار.
- ابن رجب. (1407هـ/1987م). شرح علل الترمذي (المجلد الطبعة الأولى). (تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، المحرر) الزرقاء- الأردن: مكتبة المنار.
- ابن منظور. (1414هـ). لسان العرب (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: دار صادر.
- أبو داود. (د.ت). سنن أبي داود. (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المحرر) صيدا- بيروت: المكتبة العصرية.
- أحمد بن حنبل. (1422هـ/2001م). العليل ومعرفة الرجال (المجلد الطبعة الثانية). (تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، المحرر) الرياض: دار الخاني.
- الأزهرى. (2001م). تهذيب اللغة (المجلد الطبعة الأولى). (تحقيق: محمد عوض مرعب، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الإمام أحمد. (1421هـ/2001م). مسند الإمام أحمد (المجلد الطبعة الأولى). (تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، المحرر) د.ب: مؤسسة الرسالة.
- الإمام مسلم. (د.ت). المسند الصحيح. (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الترمذي. (1395هـ/1975م). سنن الترمذي (المجلد الطبعة الثانية). (تحقيق: أحمد شاكر، المحرر) مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- الجزائري الطاهر بن صالح. (1416هـ/2005م). توجيه النظر إلى أصول الأثر (المجلد الطبعة الأولى). (تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، المحرر) حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية.
- الخليلي أبي يعلى. (1409هـ). الإرشاد في معرفة علماء الحديث (المجلد الطبعة الأولى). (تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، المحرر) الرياض: مكتبة الرشد.
- الدارقطني. (1427هـ). العليل الواردة في الأحاديث النبوية (المجلد الطبعة الأولى). (تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، المحرر) الدمام: دار ابن الجوزي.

- العسقلاني ابن حجر. (1422هـ). *نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر* (المجلد الطبعة الأولى). (تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، المحرر) الرياض: مطبعة سفير.
- النسابوري الحاكم. (1397هـ/1977م). *معرفه علوم الحديث* (المجلد الطبعة الثانية). (تحقيق: السيد معظم حسين، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- النووي. (1405هـ/1985م). *التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث* (المجلد الطبعة الأولى). (تحقيق: محمد عثمان الخشت، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.
- النسابوري أبو عبد الله الحاكم. (1397هـ/1977م). *معرفه علوم الحديث* (المجلد الطبعة الثانية). (تحقيق: السيد معظم حسين، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.